

دقيقة لهذا الكراس تكثف ، من خلال كلامه عن تفاصيل رحلة الاسطول الذي سينقل المهاجرين الى البلاد الجديدة لبناء الدولة ، مزيجا غريبا من الجدية الساذجة والروائية الخيالية . اما الرواية عن اكتشاف ارض المعاد فلم يعد اليها هرتزل حتى عام ١٩٠٢ حين كتب روايته المشهورة **الارض القديمة الجديدة** والتي ضمن فيها رؤيته الخيالية لدولة المستقبل . وتحكي هذه الرواية قصة الشاب اليهودي الفييني الفقير الذي يتعرف الى مليونير امريكي سئم الحياة يقترح عليه مرافقته في رحلة الى المحيط الهادىء للابتعاد عن العالم الخارجي نهائيا . ولكن بعد ان يبصر اليخت المنق المترف بقليل يذهبان لسبب ما لقضاء بضعة ايام في فلسطين فيجدانها بلادا يعمها الخراب والقطل والقدارة . فيستأنفان السفر الى المحيط الهادىء حيث يمكثان مدة عشرين سنة ثم يعودان عن طريق قناة السويس باتجاه اوروبه فيجدان ، باختصار ، ان فلسطين على ايدي اليهود قد اصبحت بلادا عامرة ، مركز المواصلات فيها المرافىء وخطوط السكك الحديدية . وحتى يهود اوروبه الشرقية الذين سبق واشماز هرتزل من حياتهم في **الغيتو الجديد** ومسرحيات وكتابات اخرى ، ارتأى هرتزل ان يراهم في البلاد الجديدة في فلسطين متمدنين يجالسون الاريسوقراطيين البريطانيين ويشربون معهم الشاي !

وهكذا عبر هذه المسرحيات ومسودات المسرحيات انتقل بطل هرتزل من الانتحار ، الى خدمة الاريسوقراطي المسيحي في اوروبه ، الى المبارزة معه ، الى الابتعاد عن اوروبه ، برفقة الضباط المستكشفين ثم برفقة المليونير الامريكي ، الى مجالسة الاريسوقراطيين . واذا بدا ان عنصر « العمومية » لدى هرتزل ليس بارزا بروتا تاما من خلال مسحنا لهذه المسرحيات ، فان عودة منا الى ما قبل توصل هرتزل الى الصهيونية من شأنها ان توضح الامور توضيحا اضافيا .

يبدو من قراءة الفقرة الطويلة الاولى التي بدأ هرتزل بها تسجيل مذكراته ان المشكلة اليهودية بالمعنى الشخصي — اي يهودية هرتزل — كانت تشكل بالنسبة له موضوع قلق نفسي منذ امد بعيد . ويقول انه ربما كانت هناك اوقات فكر خلالها بالابتعاد عن المشكلة النفسية التي عانى منها عن طريق اعتناق المسيحية . ولكن على أي حال فهو بخبرنا انه اثناء اقامته في باريس عام ١٨٩٣ كان قد توصل الى حل للمشكلة اليهودية بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية . فقد استنبط مخططا للتوصل الى لقاء البابا من خلال رؤساء الكنيسة في النمسه كي يقول له : « ساعدونا ضد اللاسامية وأنا اتعهد بأن انشئ حركة كبيرة لتحقيق اعتناق اليهود للمسيحية بطريقة حرة ومحترمة » . واعتبر هرتزل ان حركته ستكون « حرة ومحترمة » نظرا لان زعماء الحركة — بمن فيهم هو نفسه — سيقومون على يهوديتهم بحيث يشجعون الاخرين على اعتناق المسيحية — ديانة الاغلبية . وارتأى هرتزل على طريقته الخيالية بأن تتم احتفالات اعتناق المسيحية بفخر في وضح النهار في كاتيدرائية كبيرة ايام الاحد ووسط رنين الاجراس . وبهذا فقد اقتنع هرتزل بان هذا الحل سيؤدي الى اغتناق جميع الاطفال اليهود للديانة المسيحية قبل بلوغهم سن الرشد مما يؤدي الى اختفاء اليهود دون الضرورة الى تنصر جيله الحالي . وما ان اكتشف هرتزل هذا الحل حتى باشر بتدوين تفاصيل تنفيذه وراح يتأمل نفسه ماثلا امام رئيس اساقفة فيينه والبابا يعرض عليهما مشروعه ويرسل الشعارات عن تخالط الاجناس !

يبدو ان هرتزل كان قد اخذ مشروعه هذا بكامل الجد والحماسة وقرر ان يثنع محرري صحيفة **نيو هراي برس** التي كان يعمل لمصلحتها في فيينه على تبني المشروع والترويج له . الا انهم رفضوا مشروعه وقال له احدهم ، موريتز بندكت ، « ان مئات الاجيال بقيت على دياتتها اليهودية وانت تريد ان تجعل من نفسك نقطة النهاية لذلك » . وربما فسر هرتزل هذا الرفض على انه نتيجة نظرة المحررين اليه على انه مجرد ثرثار وكتائب